دار فور وتحديات التغريب الثقافي والعقدي

✍. د أبكر عبد البنات آدم (★)

مستخلص

تهدف الدراسة إلى معرفة تحديات التغريب الثقافي والعقدي التي بدأت سطوتها في البلاد بظهور أزمة دارفور من خلال الحملات الإعلامية التي تناقلت الأزمة في المحافل الدولية والإقليمية، والتي سعت من خلالها إلى علمنة العقلية الدار فورية بإنشاء مؤسسات كنسية لترسيخ مفهوم التبعية الغربية ومحاربة الثقافة الإسلامية.

وقد استخدم الباحث المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي لمعرفة الوسائل والأساليب التي استخدمت لتحقيق تلك الأهداف والأغراض ، وما دور الحكومة والنخبة الدارفورية في التصدي لهذه الظاهرة.

الكلمات المفتاحية: الموقع – التغريب أو الاستلاب، الوسائل والأساليب.

مقدمة

تناولت الدراسة تلك المأساة التي أدت إلى تفاقم الأزمة في الإقليم ، والتي شغلت بال المجتمع الدولي والإقليمي والمحلي، ومع استمرار تلك الأحداث دعت جهات ذات ثقل سياسي وثقافي واجتماعي إلى ضرورة وجود مراقبين دوليين لسد الهوة أو الفجوة التي أحدثتها الحكومة المركزية والحركات المسلحة دون أن تدرك خطورتها المستقبلية، مما أصبحت نشر قوات أممية في دارفور حقيقة ماثلة، وذلك بصدور عدد من القرارات الدولية في هذا الصدد، ومن هنا أدركت الحكومة والنخبة الدار فورية خطورة المنظمات والجمعيات الغربية التي وجدت لها موطناً جديداً يقال له دارفور، فيه من الصراعات والنزاعات ما يكفل أحقية وجود هذه المنظمات. كما عبر العديد من رؤساء دول وحكومات العالم عن تلك الصراع بالوحشية والعنصرية فأبدوا انزعاجهم الكبير لتفاقم الأزمة بين الفينة والأخرى، الأمر الذي أدى إلى ظهور حركات تمرد

(★) رائب عميد كلية الأدآب- جامعة بحري.

تطالب بأحقية الدار فوريين في المشاركة في السلطة والثروة والتنمية وإزالة الغبن السياسي.

وليس الغرض من دخول القوات الأممية تأمين سلامة المواطن بقدر ما هو استلاب وتغريب دولي منظم لهدم الثقافة الدار فورية التي تتسم بالصبغة الإسلامية التي أصبحت تمثل خطراً كبيراً في حزام الفرانكفونية. ومن هنا تبلورت النزاع في شكل مجموعات مسلحة كل يحمل في جعبته أهدافاً غربية ومصالح شخصية غير وطنية، فترتب على ذلك تدهور الوضع الإنساني والأمني في الوقت الذي كان في مقدور الحكومة المركزية أن تتلافى هذه الأزمة بالحوار الوطني. ولكن تسارع عجلة الشيطان فشلت الجانبين الحكومة والنخبة الدار فورية في إدارة الأزمة فكانت تدويل القضية عبر القنوات الإعلامية العالمية، ومن خلال المنظمات التبشيرية والتنصيرية التي وفدت دارفور لأول مرة في تاريخها. والذي يجب أن يعلمه القارئ أن الحياة تتغير بتغير الظروف والأحوال وبالأطماع الشخصية ولكن لا يمكن التعامل مع القوى الأجنبية الدولية والإقليمية باعتبارها ظواهر وقتية يمكن أن تزول بزوال المؤثر ما دام هنالك مشروع للصهيونية العالمية تلفظ أنفاسها من كل حدب وصوب، فالحاجة الملحة اليوم هي وجوب أن نتعامل مع تحديات العصر ومهدداتها بصورة واقعية مجردة عن كل التشوهات التي تحدث بين الأطراف خوفاً من أن تقود تلك المصالح الشخصية إلى ظواهر سالبة لا يرحم عنها التاريخ.

فالذي ينظر إلى فلسفة السياسة الغربية تجاه العالم الثالث يعرف أنه يسير في خطى ثابتة في محاربة الوجود الإسلامي. فدارفور من المناطق الفريدة من أقاليم السودان التي لا تقطن بداخلها التيارات الفكرية المعاصرة(الرأسمالية والعلمانية والشيوعية)، كما لا تطأ أرضها صنوف من اليهودية والمسيحية، ولكن عندما دوّلت الأزمة أصبحت الإقليم جزءاً من مخطط الإمبريالية الصهيونية، كما ظهر في الأفق ميلاد تيارات فكرية أرادت أن تجد لنفسها غطاءً جديداً في المنطقة التي كانت خالصة من المهددات الدينية، ولا يدري المتربصون بالسلطة تلك الخطورة فسارعوا إلى إعلان الحرب فتوقفت عجلة التنمية بأنواعها المختلفة ظانين في ذلك ظن السوء أنهم منتصرون فكان الدمار والخراب هو سمة المجتمع الدارفوري المتسامحة، وبصورة أخرى شجعوا

المتشرقين والمبشرين من اليهود والنصارى أن يكون لهم موطئ قدم في أرض بعيدة عن أنظار العالم في يوم من الأيام، أما الآن فهم جزء من تكوينها[1] . ومما لا شك فيه أن صراع المصالح سيستمر في هذا العالم ما دام هنالك غافلون بمصالح الأمة، لأنهم يخوضون صراعهم دون بصيرة لا يدركون أن العالم اليوم عبارة عن قرية كونية تسير نحو الهيمنة الاستعمارية والغربنة السياسية(الحرب الباردة) يريدون تطبيقها في كل شبرٍ من الأرض فكانت دارفور أرضاً خصبة لهم بفعل حكومته وأهله.

مشكلة الدراسة

تعد مشكلة دارفور من المشاكل العصية على القارة الأفريقية عامة وعلى السودان على وجه الخصوص، حيث سعت بعض الدوائر الدولية والإقليمية إلى استغلال الوضع المتدهور، عندما أصبحت ظاهرة النزوح واللجوء ثقافة يدركها كل فرد في الإقليم، وعلى حينها حاولت بعض المنظمات الإغاثية استخدام وسائل وأساليب تنصيرية وتبشيرية لتغيير النمط الثقافي والعقائدي في الإقليم، في الوقت التي لم تدرك الحكومة خطورة الموقف إلا بعد تدويل القضية في المحافل الدولية.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في أنها تبحث عن أحد الوسائل والأساليب التي تجنب السودان خاصة ودارفور على وجه الخصوص ويلات الإستراتيجية الغربية التي تدعو إلى التغريب والاستلاب العقلي والفكري للقضاء على الثقافة الإسلامية باعتبار أن دارفور منطقة ذات خصوصية دينية متفردة، بل أصبحت جزءاً من الأطماع الغربية عندما لم تحمل في طياتها أية مؤسسة كنسية.

أهداف الدراسة

التعرف على الواقع الاجتماعي والثقافي والفكري في دارفور، والإلمام بالعوامل المؤثرة التي أدت إلى تفكك روح الانسجام بين المجموعات الإثنية

(1) (Dowel1989:15) Dowel,A,J.1998.Famine that kills: Darfur, Sudan Oxford University. Press.

والتي أفضت في هذه الناحية إلى الصراعات والنزاعات القبلية، ثم انتشار ظاهرة النزوح واللجوء، وكذلك الكشف عن المخطط التنصيري والتبشيري المضروب على المنطقة، ومن ثم محاولة التوصل إلى أفضل الخيارات التي تسهم في التخفيف من الآثار الناجمة عن التغريب والاستلاب الغربي.

منهجية الدراسة

تتبع هذه الدراسة المنهج الوصفي التاريخي والتحليلي.

خلفية جغرافية وتاريخية

تقدر مساحة دارفور بخمس مساحة السودان إذ تبلغ حوالي 510 ألف كيلو متر مربع، وتحد الإقليم ثلاث دول من الشمال الغربي ليبيا ومن الغرب تشاد ومن الجنوب الغربي أفريقيا الوسطى فضلاً عن متاخمته لبعض الولايات السودانية مثل بحر الغزال وكردفان والولاية الشمالية[1] .

يمتد الإقليم من الصحراء الكبرى في الشمال إلى السافنا الفقيرة في وسطه إلى السافنا الغنية في جنوبه، وبه بعض المرتفعات والسلاسل الجبلية أهمها جبل مرة، وجبل ماري وجبل سي وجبل الميدوب وغيرها حيث الأراضي الزراعية الخصبة.كما ينقسم الإقليم إدارياً إلى ثلاث ولايات، شمال دارفور وعاصمتها الفاشر، وجنوب دارفور وعاصمتها نيالا، وغرب دارفور وعاصمتها الجنينة. ويبلغ عدد سكانها حوالي 6 ملايين نسمة يتحدثون لغات ولهجات مختلفة إلى جانب اللغة العربية، كما تقطنها مجموعات إثنية مختلفة منها الأفريقية والعربية متعايشة مع بعضها بعضاً.

ومع تسارع الأحداث عرفت بأنها منطقة صراع ونزاع بين المزارعين والرعاة تغذيها الانتماءات القبيلية لكل طرف، فالتركيبة القبلية والإثنية المعقدة جعلت الإقليم يحتضر من كل حدب وصوب تحت ما يقال الصراع على الموارد الطبعية وحول ملكية الأرض، هذا إلى جانب الاستقطاب الإثني والديني والثقافي. فإذا استثنينا بعض المجموعات نجد أن هنالك مجموعات تريد لنفسها

(1) آدم الزين(1971م).التراث الشعبي لقبيلة المسبعات.معهد الدراسات الأفريقية والأسيوية، الخرطوم، ط1.

أن تبرز على السطح على حساب الطرف الآخر، مما أدى إلى ظهور نزاع جديد لم يكن يشكل جزءاً من الصراعات التقليدية القديمة وهذا ما يعرف "بالاستيطان"، وفي كل الأحوال ظلت الانقسامات القبلية والإثنية والثقافية تشكل جزءاً من حلبة النزاع فتحولت الأيديولوجية الإثنية إلى الأيديولوجية المادية كل يريد لنفسه موطئ قدم"التجمع العربي [1]". وعلى الرغم من تلك المهددات والتحديات لعبت الإدارات الأهلية دوراً كبيراً في نزع فتيل الأزمة من خلال النظم والأعراف المحلية "الجودية" [2]، ومن العوامل الأكثر تأثيراً في تدويل قضية دارفور هو تأليب بعض القيادات لمجموعات قبلية معينة لإدارة الحرب بالتعاون مع الأطراف المتصارعة مما أدى إلى ميلاد طرف ثالث لم يكن في الحسبان ألا وهو الصهيونية اليهودية.

فإذا أمعنا النظر إلى حدود دارفور المفتوحة ومساحته الشاسعة، وامتدادها على الدول المجاورة نجد أن هذه المعطيات قد أفضت إلى تدفق السلاح وظهور قوميات جديدة ليست لها علاقة بالمجتمع الدارفوري. وقد تأثرت المنطقة بالصراع التشادي التشادي والصراع الليبي التشادي حول شريط أوزو، وبالصراعات الداخلية في أفريقيا الوسطى، فتفاعلت قبائل الإقليم بتلك النزاعات بعد توفر تجارة السلاح، لأن دارفور تمثل القاعدة الخلفية لتشاد في جميع الانقلابات التي صاحبت تغيير كل الأنظمة، وهذا إن دل إنما تدل على أهمية الإقليم حيث إنه مهد للعديد من الديانات والحضارات والثقافات، هذا بالإضافة إلى الأهمية الإستراتيجية وربطها بالقارة الأفريقية حيث يشكل نقطة تماس ما يعرف بالحزام الفرانكفوني(الكامرون والنيجر وأفريقيا الوسطى وتشاد)[3]

أما السبب الأكثر إلحاحاً في هذا الصدد فهو قانون الحكم المحلي لسنة

(1) علي جادين وآخرون(2006م).دارفور إقليم العذاب. منشورات رواق،النرويج،ط1.

(2) أوفاهي(1999م).الدولة والمجتمع في دارفور.ترجمة عبد الحفيظ سلوان،مركز الدراسات السودانية، القاهرة،ط1.

(3) فلينت جولي،والكس دي فال(2006م).دارفور-تاريخ وحرب إبادة.ترجمة أنطوان باسيل،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت،ط1.

1971م، والذي تم بموجبه إنشاء محليات أدت إلى انعدام الثقة بين الأطراف الدارفورية كل يريد لنفسه محلية أو مجلس ريفي، ثم تطورت خطى الأحداث بإلغاء نظام الإدارة الأهلية الذي خلف فراغاً إدارياً واضحاً في المجتمع الدارفوري، ومع غياب الشفافية في الإدارة ظهر ما يعرف بالمعتمديات التي أصبحت وبالاً وشراً مستطيراً على كل أنحاء السودان عامة وعلى دارفور على وجه الخصوص. فعندما غابت الديمقراطية والشفافية في نشر المعلومات وتبادل الأفكار وإعادة تأسيس المفاهيم بصورة موضوعية ظهرت ما يعرف "بالعرب والزرقة" وعلى أعتابها بدأ المخطط التغريبي والاستلابي.

ومع تصاعد وتيرة الحرب الباردة وظهور ما يعرف بالأطماع الاستعمارية والتحديات الدولية والإقليمية، تصاعدت وتيرة النزاع الدارفوري بعد إدخال نظام الحكم الإقليمي في كافة أنحاء السودان حيث أصبح تنصيب أبناء الأقاليم مشكلة تؤرق نفوس بعض أبناء دارفور، وبمرور الزمن ظهرت عقلية الانحياز والانتماء لحاكم الإقليم، فقامت كل مجموعة إثنية في تنظيم نفسها في تكتلات منفصلة تريد لنفسها البقاء وتسند إلى نفسها الأفضلية، وأياً كانت حقيقة أم تخميناً فإنها بمرور الزمن أصبحت حقيقة واقعة لعبت دوراً كبيراً في شرخ النسيج الاجتماعي، وظهور حركات مسلحة ، فإنهارت حالة التعايش التي ظل يعيشها أهل دارفور. والذي يحزن له المرء أن الحكومة المركزية والحركات المسلحة والنخبة الدارفورية لم تتعامل مع الأزمة بشفافية، بل ظل كل طرف يتلاعب بالألفاظ لمصلحتها ولا يريدون لدارفور أن تعيش في أمن واستقرار.

وبناءً على تلك المآلات تطورت حدة الصراع الدارفوري بسرعة متزايدة وأصبح محطة أنظار لكل دول العالم في الوقت الذي غابت الآلة الإعلامية الرسمية الداخلية، ومن هنا بدأت غربنة القضية وتدويلها. ومع توقيع برتوكولات السلام بين الحكومة المركزية والحركة الشعبية لتحرير السودان عام 2002م، ظهر هنالك شعور عام بأن هنالك متغيرات سياسية سوف تحدث في تركيبة السلطة في السودان، فتحركت المجموعات الدارفورية(الأفريقية والعربية) كل يريد الاحتماء بالسلطة المركزية خوفاً على مصالحها فكانت الغلبة للمجموعة العربية باعتبارها جزءاً من منظومة التجمع العربي، وهنا بدأت النزاع الأيديولوجي بين الدارفوريين وظهور ما يعرف(بالقريش 1 وقريش2)

كل طرف يمثل أيديولوجية على حساب الآخر، إما بالتوسع أو الاستيطان [1] ومع صعود الحركة الشعبية لتحرير السودان على ديناميكية السلطة في الخرطوم اتخذت الهوية الأفريقية بعداً سياسياً حيث سعت الحركة الشعبية على توحيد المجموعات غير العربية في كافة أنحاء السودان بداعي رفع سياسة التهميش والعنصرية في كل أنحاء السودان [2] كل تلك العوامل ساعدت في إشعال فتيل الأزمة التي أصبحت فيما بعد لقمة صائغة أمام التقارير الاستخباراتية والصحافة العالمية والمنظمات والجمعيات اليهودية.

ثم تسارعت الأحداث بظهور أزمة ثقة بين أهل دارفور والحكومات المتعاقبة وقد تشابكت هذه العوامل مؤخراً في توسيع نقاط الشقة والهوة بين النخبة الدارفورية وتفاعلت مع محيطها الدولي والإقليمي مما أدى إلى توافد وفود أوربية وأمريكية وآسيوية، ومنظمات إغاثية مدعومة بحملة إعلامية دولية غربية واسعة تدعو إلى الاستلاب العقلي تحت ذريعة حماية النازحين واللاجئين. وعندما أعميت الأبصار بين الأطراف السودانية المتصارعة تسابقت المنظمات اليهودية والصهيونية إيذاناً للفت أنظار العالم إلى أن هنالك إقليماً يسمى دارفور يعاني من ويلات الإبادة الجماعية وانتهاك حقوق الإنسان جراء الصراعات والنزاعات حول السلطة والثروة.

والناظر إلى الخارطة السودانية المترامية الأطراف يصعب إحكام السيطرة في كثير من الأحيان على الحدود السياسية، حيث أصبحت الحدود رهناً لكثير من النزاعات والصراعات نسبة للعلاقة المتبادلة بين المجموعات القبلية المرتبطة بوشائج ومصاهرات وعلاقات أسرية، كل هذه المعضلات دفعت المجتمع الأوربي للهيمنة والسيطرة، وتقديم تصور جديد يقضى بموجبه تقسيم السودان إلى خمسة أقاليم رئيسة بعد انفصال الجنوب على النحو التالي: دارفور

(1) البطحاني،عطا (2004م). دارفور إقليم العذاب.منشورات رواق،النرويج،ط1.

(2) Keen, D.1994The Benefits of Famine: Apolitical Economy of Famine and Relief in Southern Sudan. Sudan.

وكردفان والنيل الأزرق والأوسط والسودان الشمالي [1].وقد أكد كثير من المراقبين على أن الصراع الدارفوري صراع دولي يتعلق بالأطماع والهيمنة الاستعمارية في كافة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية، ولتنفيذ تلك المخطط جلبت المنظمات والجمعيات منصرين ومبشرين للمساعدة في إنشاء مؤسسات كنسية تعمل على صياغة المجتمع الدارفوري على نمط الثقافة الغربية مستغلين ضعف التنمية بأنواعها والكساد الاقتصادي العالمي وقد ذكر الأمريكي هنري كيسنجر قائلاً:" هل أمريكا بحاجة إلى سياسة خارجية ؟ وإن من المألوف في أعراف الدولة أن يجيء الحس القومي سابقاً للحدود الجغرافية للدول، وذلك هو السائد في كل قارات العالم عدا أفريقيا حيث إن الحدود الجغرافية حلت قبل أن تشكل الحس القومي" يؤكد هذا المستشرق أن الاستعمار قد حقق أهدافه منذ ترسيم الحدود دون أن يكون لأهل تلك الدول دور، أما الآن فإن السباق هو سباق الهوية والثقافة [2]. ومع انهيار نظام التوازن القومي الدولي وأيلولة النظام العالمي للأحادية القطبية، وإذعان المنظمات الدولية لنظام القطب الواحد، وتأثير الوجود الإسرائيلي في أماكن صنع القرار، كل هذه العوامل أسهمت في ظهور الأطماع الدولية والإقليمية والمحلية خاصة مع بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي غلغلت العالم مما دفع الولايات المتحدة الأمريكية للبحث عن مناطق نفوذ جديدة بحجة القضاء على الإرهاب فكانت دارفور جزءاً من اللعبة السياسية بحجة أن السودان من الدول التي ترعي الإرهاب، والتي بدورها تؤثر على الأمن القومي العالمي. وبالتالي استغلت الدوائر اليهودية هذه الذريعة لتحقيق أغراضها وأهدافها بواسطة البعثة العربية Arabian Mission التي تهدف إلى الدعوة إلى النصرانية في البلاد العربية[3].

(1) مصطفى محمد،التيجاني(2004م).الصراع القبلي في دارفور.مركز الخدمات الصحفية،الخرطوم،ط1.

(2) خالد الحاج،محمود(2004م). دارفور الحقيقة الغائبة.مركز السوداني للخدمات الصحفية،الخرطوم،ط1.

(3) حقار، علي أحمد(2004م).البعد السياسي للصراع القبلي في دارفور.شركة مطابع العملة السودانية،الخرطوم،ط1.

وعلى هذه الشاكلة وجدت الولايات المتحدة الأمريكية منفذاً للهيمنة الاستعمارية حيث قام وزير خارجيته كولن باول في 29يونيو 2004م في أول زيارة إلى دارفور وفيها هدد الحكومة المركزية بإجراء إصلاحات وإلا سوف تتخذ ضدها عقوبات صارمة في مجلس الأمن. وعندما لم تجد تلك الوصايا أذناً صاغية من الحكومة السودانية تحركت الدوائر اليهودية داخل أروقة مجلس الأمن فصدر القرار 1556 الذي بموجبه أعطى السودان مهلة الثلاثين يوماً لنزع سلاح المليشيات، وتأمين عودة النازحين واللاجئين إلى قراهم، والسماح للمنظمات الإنسانية بحرية العمل في الإقليم، والتفاوض مع الحركات المسلحة. ثم توالى الضغط وتحرك الكونغرس الأمريكي مطالباً بالتدخل العسكري ومن هنا دولت قضية دارفور على الملأ، وبناءً على ما قامت به الحكومة من جهود لحل الأزمة إلا أنها ضعيفة فقام الممثل العام للأمين العام للام المتحدة يان برونك برفع تقرير عن فترة عمله بالسودان أورد فيه:" أن الحكومة السودانية لم تستطع إيقاف هجمات المليشيات، ولم تتمكن من جمع الأسلحة، ولم تتخذ خطوات عملية لتقديم مرتكبي الجرائم للعدالة "[1] وهنا أكد التقرير أن الحكومة المركزية هي التي ساعدت تلك المليشيات في دحر المدنيين (معسكرات النزوح واللجوء). وحتى تكتمل الصورة أعلن رئيس المفوضية العليا لشؤون اللاجئين لصحيفة البيان الإماراتية في مارس 2004م، أن هنالك فظائع ترتكب في إقليم دارفور، وفي العشرين من نفسه الشهر وصف موكيش كابيلا المنسق العام للأمم المتحدة في السودان لموقع (هورن الأمريكية) الوضع في السودان بأنه أسوأ كارثة إنسانية في العالم، ثم أردف بتصريح آخر في قناة البي بي س يBBC. وقد تبارى من بعد ذلك عدد من وكالات الأنباء والقنوات الفضائية والصحف ومواقع الانترنت في تناول قضية دارفور بصورة ينضح لها الجبين، أما في الداخل فإن القلوب مصدأ. ومن أخطر المؤشرات في هذا الصدد ما جاء على لسان الأمين العام للأمم المتحدة آنذاك كوفي عنان أثناء زيارته للسودان قائلاً:" إن ما يحدث في السودان أسوأ مما شهدته رواندا". لعب هذا التصريح دوراً كبيراً في الأوساط اليهودية ففي 24إبريل2004م سعت بعض الدوائر الغربية

(1) Human Rights watch.2004.Darfur Destroyed. New York.

والأمريكية إلى تمرير قرار حول الأزمة في دارفور حيث وافقت 53دولة على إخطار الحكومة السودانية بالقضاء على المليشيات المسلحة، وعلى الفور رفضت منظمة هيومان رايتس ووتش Human Rights Watch، ومنظمة إمنستي إنترناشيونال ومنظمة "أطباء بلا حدود" هذا القرار الذي لا يخدم أجندتهم وهو القضاء على السلطة في السودان، وما بين تقارير تلك المنظمات وتصريحات السياسيين التي روجت لأزمة دارفور في المحافل الدولية، في ظل غياب الآلة الإعلامية المحلية المنوط بها تقديم الأدلة الموضوعية التي تبطل الغرصنة الغربية، وقد نتج عن ذلك الفراغ عزل السودان عن العالم الخارجي، ومنع كبار المسؤولين من السفر إلى الخارج ومقاطعة البنوك المستثمرة بالسودان[1] .

هكذا دولت أزمة دارفور في الدوائر اليهودية الأمريكية عندما كتب الكاتب اليهودي بيتر أيغروس تقريراً لوكالة جويش قائلاً:" أن الجماعات اليهودية ضاعفت من جهودها خلال الأسابيع الأخيرة لإيقاف قتل عشرات الآلاف من المسلمين السود في السودان" كما وافقه الرث مسينجر رئيس الخدمات العالمية لليهود حيث ذكر:"أن المجلس اليهودي بواشنطن يرفض عمليات القتل والإبادة في السودان[2] . وفي الرابع والعشرين من يونيو 2004م جمد متحف الهولوكوست الأمريكي كل أنشطته لمدة نصف ساعة للفت أنظار العالم عما يجري في السودان، وأعلن أن التحالف اليهودي المكون من 54 جماعة يهودية يضعون صندوقاً خاصاً لجمع التبرعات لأولئك المتضررين من هجمات العرب المدعومين من الحكومة السودانية أطلق عليه صندوق إغاثة السودان. ثم توالت المؤامرة الاستلابية حيث نشر موقع All Africa.Com تقريراً يقول:" إن معرض الهولوكوست الأمريكية أصدر أول إنذار لطوارئ الإبادة الجماعية، يطالب الولايات المتحدة الأمريكية التحرك لإيقاف تلك

(1) Collins,R,D.2004.Disaster in Darfur .African Geopolitics.

(2) Human Rights watch.2004 .Darfur Documents Confirm Government Policy of Militia Support. New York.

المجزرة ومعاقبة المسؤولين عنها مستشهداً بما قاله بيتر تاكيرا مبور المدير التنفيذي لمنظمة هيومان رايت ووتش"[1]. ومن خلال هذه التقارير بدأت الهيمنة الاستعمارية تلوح في الأفق بواسطة التدفق الإعلامي الذي شمل الوسائل الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية ومواقع التصفح(الانترنت) كافة لتحقيق الأهداف التالية:

- التغطية الشاملة لموضوع الحدث والتبرير للقوى المعادية للدخول في السودان.
- إعداد الرأي العام العالمي لأسوأ السيناريوهات.
- التغلغل في مناطق دارفور الغنية بمواردها الطبعية.
- تفكيك المجتمع الدارفوري، وإيجاد مشروعات كنسية تسهم في التنصير والتبشير.

وبنهاية عام 2004م بدأ المخطط الألماني يهدد الحكومة السودانية بتعاطفها مع المتمردين وإيوائهم رغم إنكار وزير خارجيتها خلال زيارته للسودان قائلاً:" إن القوانين الألمانية تمنع التعامل مع حق اللجوء السياسي "[2].كما وضعت الأزمة في دارفور فرنسا في مواجهة الأزمات العالمية التي تصنفها باريس عادة إلى ثلاث مجموعات من حيث التحديات على النحو التالي:

1 - الأزمات الصامتة. 2- الأزمات المفتوحة.3- التحديات الثقافية.

ومع تطور الأزمة الدارفورية وما صاحبتها من ظاهرة النزوح واللجوء دخلت فرنسا كلاعب إستراتيجي لتؤمن الحزام الفرانكفوني خوفاً من أن تحدث تغييرات سياسية في هذه المنطقة على ضوء الأطماع الصهيونية، وقد لعبت منظمة أطباء بلا حدود الفرنسية ومنظمة لارش دي ذو دوراً كبيراً في بلورة الرأي العام الفرنسي تجاه دارفور والوقوف مع الحركات المسلحة. وفي عام 2005م طلبت فرنسا من مجلس الأمن إصدار قرار بشأن دارفور، فأصدر المجلس القرار رقم 1593 أحال قضية دارفور إلى المحكمة الجنائية الدولية استناداً على المادة13 من قانون نظام روما الأساس الذي يعطي مجلس الأمن

(1) خالد الحاج،محمود(2004م). دارفور الحقيقة الغائبة.مركز السوداني للخدمات الصحفية،الخرطوم،ط1

(2) Collins,R,D.2004.Disaster in Darfur .African Geopolitics.

الحق في تفويض المحكمة الدولية بالاختصاص والنظر في الجرائم التي تتعلق بانتهاك حقوق الإنسان.وبناءً على توجيه اللجنة الدولية أصبحت الحكومة السودانية مساءلة أمام المحكمة الدولية، وبذلك حقق القرار أغراض الهيمنة الثقافية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، ومع تعاقب الأيام أخذت قضية دارفور منحاً قانونياً عندما طلب كوفي عنان من مجلس الأمن ضرورة وجود قوات أممية بالتعاون مع الاتحاد الأفريقي العامل في دارفور. وفي مارس 2005م أصدر مجلس الأمن القرار رقم 1590 لدعم إنفاذ نيفاشا، وتعزيز التفاهم بين الأوساط السودانية بشكل يتناسب مع الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان دون الإشارة إلى السيادة الوطنية، ومن خلال تطور الأحداث في دارفور سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى لفت أنظار العالم لتحقيق الأهداف التالية:

- إقامة قاعدة عسكرية، وتكوين الأحلاف الأمنية بين دول المنطقة.
- استغلال الموارد البترولية في السودان.
- السعي إلى إيجاد موطئ قدم لليهود في القارة الأفريقية، وسحق الثقافة الإسلامية.

وعلى هذا المنوال أصبحت الأزمة الدارفورية تأخذ موقعها في الوكالات العالمية والمنظمات الدولية للأسباب التالية:

1/ظهور بعض الصور الخليعة التي تحكي عن المأساة من حرق واغتصاب واقتتال مما دعت بعض المنظمات والجمعيات اليهودية إلى تشكيل نداء موحد تحت شعار:" المدنيون الأبرياء يقتلون في دارفور يمكنكم إنهاء ذلك".

2/الإعلان السافر الذي ابتدرته بعض الدوائر اليهودية تحت مسمى(مذبحة دارفور) وأطلقوا على حملتهم" اليوم العالمي من أجل دارفور"[1].

هذه النداءات شكلت الرأي العام الأوربي بعصرها تجاه أزمة دارفور، مما دفعت بعض الدوائر الأمريكية إلى إطلاق حملة أخرى تحت شعار" أنقذوا دارفورSaving Darfur" وهو تنظيم يضم 170 منظمة دينية وحقوقية وجماعة من السود، وعلى هذا المنوال تمكن هذا الائتلاف من استغلال وسائل الإعلام الأمريكية وشركات العلاقات العامة ومؤسسات التعليم العام كافة لخلق آلية فاعلة

(1) عبد العاطي،الربيع(2004م).القوات الدولية الخطر القادم.الخرطوم،ط1.

تمارس الضغط على الحكومة الأمريكية لمساعدة أهل دارفور. فبرز من خلال هذه الائتلاف منظمات يهودية شارك فيه عدد من الناشطين وكبار الساسة الذين دولوا الأزمة حسب أهوائهم عبر كافة الوسائل الإعلامية باسم" دارفور تحتضر"[1].

ثم توالت القرارات الأممية على الحكومة السودانية، فأصدر مجلس الأمن القرار رقم1651 والذي يقضي بتجديد ولاية الخبراء في السودان ، لأنه لا يزال يشكل تهديداً للسلم والأمن الدولي. وفي مارس2006م أصدر مجلس الأمن قراراً يعمل على تمديد ولاية بعثة الأمم المتحدة والإسهام في إنجاح محادثات أبوجا، والسعي إلى تحويل بعثة الاتحاد الأفريقي إلى بعثة أممية تابعة للأمم المتحدة. وفي 25 مايو 2006م شدد مجلس الأمن على تطبيق القرارات السابقة الذكر فأصدر القرار رقم 1672. وفي يونيو من العام نفسه صدر القرار رقم 1679 وفقاً للفصل السابع يدعو إلى تعزيز بعثة الاتحاد الأفريقي، وحفظ الترتيبات الأمنية لاتفاق أبوجا. وفي أغسطس من العام نفسه أصدر مجلس الأمن القرار رقم 1706والذي قضى بنشر قوات تابعة للأمم المتحدة في دارفور قوامها 17600جندي [2]. وعلى هذه الشاكلة أصدر مجلس الأمن القرار رقم2003 والذي يقضي ببقاء القوات الأممية في السودان لحماية المدنيين تحت الفصل السابع. هكذا أصبحت الأزمة في دارفور أزمة عالمية تناولتها الأوساط السياسية والفكرية دون أن يكون لإعلامنا قدم سبق. وعندما غابت المكاشفة بين الحكومة والنخبة الدارفورية كشف موقع ديبكا الإسرائيلية أن هنالك تعاوناً بينهم وبين أجهزة المخابرات الأمريكية والفرنسية لتنفيذ مخطط يهدف إلى تقسيم السودان إلى ثلاث دويلات بدلاً عن خمس وهى:

- دولة شمال السودان الإسلامية.
- دولة دارفور.
- دولة الجنوب.

وقد أضافوا في هذا السياق أن ال "سي آي أيه" و"ال الفرنسية" و"الموساد

(1) عبد العاطي،الربيع(2004م.65).القوات الدولية الخطر القادم.الخرطوم،ط1.

(2) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة

الإسرائيلية" أقاموا مركزين رئيسين لتنفيذ تلك المخطط الأولى في تشاد والثاني في جيبوتي ومن هنا يجب أن تدرك الحكومة السودانية هذه الحقائق التاريخية والجغرافية لخروج السودان من هذه اللعبة الغربية.

مصطلح التغريب Westernization أو الاستلاب Alienation:

التغريب أو الاستلاب هو مفهوم يصف كل عمليات ونشاط العمل الإنساني الاجتماعي والثقافي والفكري في ظروف معينة لصالح الغرب، أو تحويل تلك الخصائص والقدرات الإنسانية إلى أشياء مستقلة، أو تشويه العلاقة بين الإثنيات المختلفة بوسائل وأساليب متنوعة [1]. وهنا يرى مفكرو حركة التنوير مثل الفرنسي روسو والألمانيين جوتة وشلير أن هذه الفكرة من الناحية الموضوعية العلمية تعبر عن التنصير الموضوعي Objective[2] Evangelization. فالتغريب هو تغيير كلي لسلوك الإنسان المسلم عن طريق تثقيف فكري تنصيري غربي، ويطلق عليه بعض الباحثين بالفرنجة" مبشراً Propagate". ويرى المؤرخ "جب" في كتابه وجهة الإسلام:" أن كثيراً من مظاهر التقليد والحركات المستحدثة التي ابتكرت بدافع التأثير العربي والإسلامي للحضارة الغربية لا يتوقف على مستقبل التغريب باعتباره مظهراً خارجياً للتأثير والاقتباس، فهي ثانوية بالقياس إلى تغلغل الأفكار الجديدة" [3].ويبدو أن "جب" وغيره من المفكرين الغربيين يركزون على الجانب الثقافي والفكري في التنصير والاستلاب العقلي مستغلين التفوق الغربي

(1) محمد حسين،محمد(1972م).الحضارة الغربية.مؤسسة الرسالة،بيروت،ط1.
(2)روز، وبودين(1997م).الموسوعة الفلسفية.ترجمة سمير كرم،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،ط1.
(3) (محمد حسين1972م:97) مرجع سبق ذكره

في الحضارة والثقافة، كما يتجه التغريب في شكله التنصيري إلى هدم العقائد والعادات والتقاليد. وذكر المستشرق [1] "زويمر Zwemer 1892م:3)" في مخططاته التنصيرية:" ليس الهدف من التغريب هو إدخال المسلم في دين آخر، ولكن الهدف هو إخراجه من الإسلام حتى يكون خصماً له وعدواً" ومن هنا تتضح خطورة الاستشراق اليهودي التي لا يعنيها التنصير الديني Religious Evangelization بقدر ما يعنيها التشكيك في الإسلام Skepticism Islam [2].

وعلى هذه الشاكلة يرى البعض أن التغريب في أبسط مفهومه هو: حمل الأفراد على قبول ذهنية الغرب، والتخلي عن الدعائم الأساسية التي تفرضها ذاتية الدين، والتمسك بإثارة الشكوك في الثقافة والتربية والتراث، وهذا يعني السعي إلى خلق عقلية جديدة تعتمد على الفكر الغربي ومقاييسه، والذي يقوم على مذهبين[3]:

- المذهب العقلاني Rationalism: وهو القائم على تقييم العقائد الدينية على أسس ومبادئ مستمدة من العقل المادي والمنطق التقليديTraditional Logic.
- المذهب الشكي Skepticism : وهو المنادي بالشك في مبادئ الأديان السماوية الأساسية(كالخلود والروح) ويمكن تحقيق تلك الأهداف

(1) Zwemer, S,1892.Field Reports of the Arabian Mission .New York

(2) الجندي،أنور(1979م).الإسلام والدعوات الهدامة. دار الكتاب المصري القاهرة،ط2.

(3) The Catholic Encyclopedia School and Home. New York, Press.1963

من ناحيتين[1]:

1 - تغريب الأفكار والأيدلوجيات.

2 - إحلال الفكر الغربي والثقافة الأوربية مكان الثقافة الإسلامية.

وبعيداً عن دينماكية الصراع والنزاع في دارفور يسعى الباحث إلى كشف الدور الخفي الذي تلعبه الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والإقليمية في تغريب العقلية الدارفورية.

الوسائل والأساليب:

لم تتحفظ الحكومة السودانية على دخول القوات الدولية والمنظمات والجمعيات الطوعية في دارفور، عندما أصبحت الأزمة الدارفورية تتداول في كل المحافل الدولية، وعندها سعى الغرب إلى تغريب وتنصير بعض القادة غير الموالين للحكومة المركزية بشتى الوسائل والأساليب منها:

التبشير Evangelization: يمثل النشاط التبشيري وسيلة من وسائل التغريب الاستعماري، حيث سعت البعثات والإرساليات Missions إلى إيفاد مرسلين Missionaries يقومون بنشر الإنجيل عن طريق الوعظ والتدريب والتبشير، أو ما يعرف بعلم"المسيولوجيا Missiology" ، وهو من العلوم الحديثة التي استخدمها الغرب في المجتمعات العربية لخدمة العقيدة النصرانية في مناطق الأزمات والنزاعات والكوارث. وقد شهدت مراحل النشاط التبشيري عدة مناهج وأساليب بما يتماشى مع روح المبادئ الدينية للمسيحية وتعاليمها.

(1) حمدان،نذير(ب ت). في الغزو الفكري.مؤسسة الرسالة.بيروت،ط1

فالنوع الأول يعتمد على الإقناع الفردي والوعظ العام في المناطق التي تمَّ فيها إنشاء الزوايا "Chapels"، ومن المعروف أن كثيراً من مناطق دارفور وخاصة المعسكرات قد بنيت فيها زوايا الغرض منها تعريف الناس بحياة المسيح وتعاليمه وعلاقاته بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام. أما النوع الثاني وهو الأكثر خطورة فينقسم إلى عدة وسائل وأساليب منها:

- التعليم Learning: ولما كان التعليم من أفضل الوسائل والأساليب لنشر الإنجيل سعت الإرساليات التبشيرية إلى تقديم خدمة للتغلب على المشاكل الرئيسة التي غالباً ما تواجه الدول الفقيرة مثل العصبية والعنصرية والقبلية، فاعتمدت المنظمات والجمعيات التطوعية بالتعليم كأهم محور من محاور بناء العقلية مستقلين وضعية معسكرات النزوح واللجوء، هذا بالإضافة إلى العوامل البيئية المساعدة في تطور ورقي الإنسان معتمدين على الإرساليات المساعدة Subordinate Missions التي تعمل تحت لواء المنظمات الإغاثية. كما أدرك المبشرون أهميته عندما وجدوا الاستجابة الكاملة من كل الأطراف خاصة الذين كانوا يشعرون بالغبن والتهميش من المركز، فاستخدموا مبشرين Propagandas لتغريب وتنصير العقائد الدينية التي لا تتفق مع الثقافة الغربية Western Culture فخلقوا نوعاً من العداوة بين المركز والنخب الدارفورية. وعلى الرغم من أن التعليم نعمة في سبيل تحرير الإنسانية إلا أن الغرب جعله وسيلة من وسائل الاستعباد، وسوق الإنسانية إلى مصافي الحياة المادية، مستغلين الألفاظ الغربية في ترويج بضاعتهم، ونشر الفساد الاجتماعي والثقافي عن طريق ما يسمى بتعليم الإرساليات Learning Missions

ومنظمات الإحسان Charitable Association والجمعيات المساعدة Subordinate Corporation.

وقد أشار"جب" إلى أن الغاية من التعليم هو:" إنما للفكر العلماني اللاديني"[1]. وفي هذا السياق سعت بعض المنظمات إلى إنشاء بعض الروضات والمدارس والمعاهد مع تغيير المناهج واللغة ونشر ثقافة الاختلاط خاصة في المعسكرات، وهنا أصبحت البعثات التعليمية من أخطر الوسائل في التأثير الفكري والثقافي والبعد عن الوطنية.

أما عن المستوى الخارجي فقد سعى الغرب إلى توفير فرص التعليم لبعض الدارفوريين لينالوا قسطاً من العلم والمعرفة وفق المبادئ الغربية فإذا عادوا إلى وطنهم ترجموا ذلك من خلال التغيير الثقافي والفكري، فالمستعمر كثيراً ما يهدف إلى السيطرة أولاً، ثم إلى جعل نشر الإنجيل وسيلة من وسائل اسقراره ثانية وفق الأغراض التالية:

1/الدعوة إلى العلمانية: سعى الغرب الأوربي إلى تغريب الدارفوريين ونشر الأفكار التي تخالف عاداتهم وتقاليدهم مثل فصل الدين عن الدولة ورد الأسباب والمسببات إلى الطبعة والتشكيك في مبادئ الدين الإسلامي. كل هذه العوامل أدت إلى اضطراب القيم والمفاهيم الدارفورية التي كانت تدعو إلى السلم والتسامح والتعايش، فنتج عن ذلك تيارات فكرية معاصرة لا تمت إلى دارفور بصلة.

2/الاهتمام باللهجات المحلية: عندما توسعت الشقة بين الأطراف الدارفورية

(1) خالدي،مصطفى وفروغ،عمر(1987م).التبشير الاستعماري في البلاد العربية، القاهرة،ط1.

تمكن الغرب من استغلال هذه الفجوة فحمل الدارفوريين إلى تعليم لهجاتهم المحلية بجانب تعليم اللغة الانجليزية بدلاً عن العربية، الأمر الذي ساعد في قطع أواصر التعاون والتآلف بين المجتمع الدارفوري حيث أصبحت كل أثنية تهتم بلغتها بعد أن نفذت السلم التعليمي التبشيري على النحو التالي:

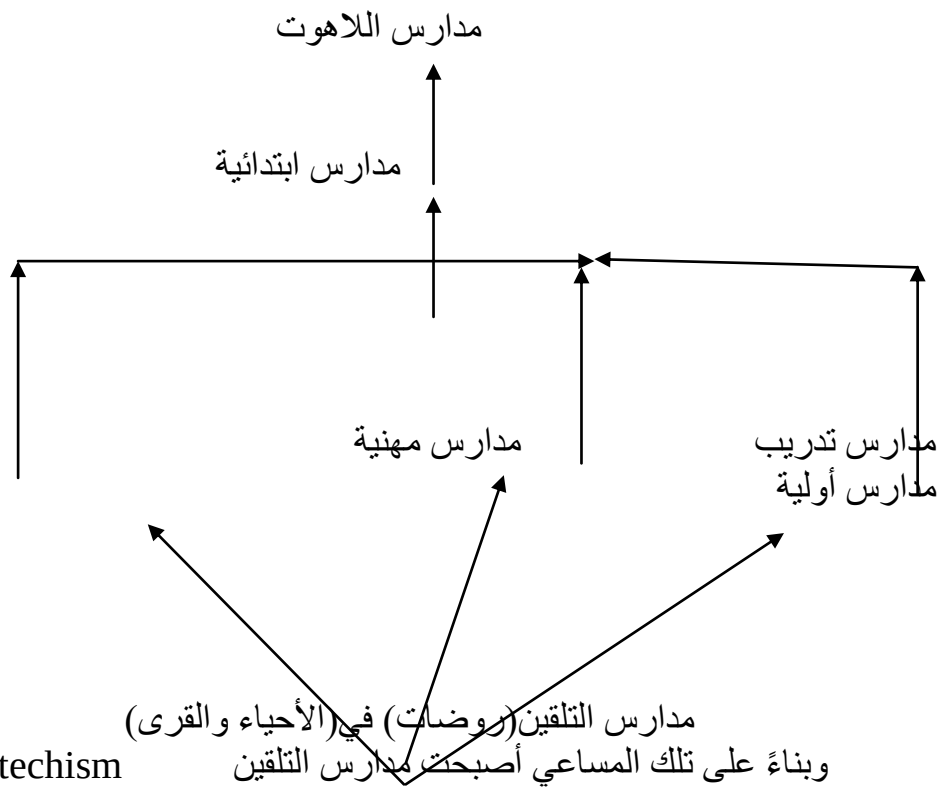

School هي أساس القاعدة التي يعتمد عليها نظام الإرساليات، وهي أشبه بالخلاوى في الإسلام[1]. ولإنشاء جيل من المسلمين يحملون الهم الغربي سعت الإرساليات إلى تدريب وترفيه أطفال دارفور، فأصبح الأجنبي مرغوباً(مجانية التعليم) والوطني مبغوضاً لأن الدين عندهم وسيلة فقط وليس غاية، فتفرق أهل دارفور إلى أيدي سبأ كل يحمل هموم نفسه أو قبيلته بعيداً عن العاطفة الوطنية، فأصبحوا يحملون ذوات المجتمع الغربي، ولا يؤمنون إلا بالغرب الذي يعمل لخدمة الصهيونية. وما الكتاب المقدس عند الغرب إلا وسيلة لاستلاب الأرض من أصحابها[2]. ومن الملاحظ أن جميع المدارس الأجنبية التنصيرية تسير على سياسة الاستغناء عن المعلم المسلم، وتعتمد في التلقين على السؤال والجواب مثل:

ما المسيح ؟ هو ابن الله. هل للكنيسة رئيس يمكن رؤيته ؟ نعم إنه البابا.

وعلى هذا المنوال أذعن البعض بأفضلية الغرب في تقديم الخدمات، وفي معالجة بعض مشاكل الحياة الأخرى مستغلين سماحة وتعاون أهل دارفور مع الغرباء. كل هذه المعطيات أفضت إلى ظهور حركات ثورية تنادي بالعلمانية والاشتراكية وأخرى سائبة ليست لها توجه يذكر.

* العلاج Medication: لم يظهر العلاج كوسيلة من وسائل التنصير والتغريب إلا في أواخر القرن التاسع عشر، عندما كونت في أوربا جمعيات طبية تقوم بتأهيل الأطباء والممرضين للعمل في مراكز العمل التنصيري، ومن ثم أصبحت الإرساليات العلاجية Medical Evangelistic من أهم الإرساليات لاستلاب العقل الإنساني [3]وهذا ما أكده (Cook1918:148)[4] حيث قال:" إن أهداف هذا النوع من البعثات هو إضفاء روح الشفقة الدينية ... ثم تمهيد الطريق للإنجيل، وأخيراً معالجة الناس من الأمراض..". وتأكيداً لهذه

(1) عكاشة،إبراهيم(1987م). ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي.إدارة الثقافة والنشر،جامعة الإمام محمد بن سعود،المدينة المنورة.

(2) السيد صالح،سعد الدين(ب ت).الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام.دار العلم، بيروت،ط1.

(3) عكاشة،إبراهيم(1981م).علم التبشير ومناهجه وتطبيقاته.مجلة مكتبة العلوم الاجتماعية،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،الرياض،ط1.

(4) Cook,R.1918.Medical Mission.Com.Vol1,New York.

الحقيقة فقد تضافر مع هذه المنظمات والجمعيات عدد كبير من الأطباء والممرضين المبشرين إلى معسكرات النزوح واللجوء لتقديم الخدمات الطبية، والتي كثيراً ما تخالف العادات والتقاليد المحلية. وقد جرت العادة في معظم هذه المراكز بوجود مستوصف صغير لعلاج التلاميذ والعاملين تحت إشراف طبيب أجنبي الغرض منه كما يقول أحد المبشرين:" تخفيف الآلام الجسمانية للمرضى لتتمكن النفس من إدراك القوى الكامنة في العقيدة... وخلق روح الاعتراف بالجميل"[1]. وقد ذكر المستر هاربر:" أنه يجب الإكثار من الإرساليات الطبية لأن رجالها أكثر صلة بالجمهور، ولهم تأثير كبير على المسلمين" [2].ومن هنا يدرك الباحث أن الغاية شريفة في ظاهرها وخبيثة في باطنها لأن المرض هو حالة من حالات الضعف البشري، ويتبع هذا الضعف ضعف في الإدراك الفكري والمعرفي، وبالتالي يستطيع الطبيب أن يحقق رغبته بسهولة ويسر متى شاء وكيف شاء، وهنا تكمن خطورة التعامل لأنها ليست مجرد مساعدة وإنما هو نمط من أنماط التنصير والتغريب لأن المداواة في المسيحية هي نشاط ديني يرتبط بحياة المسيح عليه السلام وأيامه الأولى.

الإدارة الأجنبية للمستشفيات

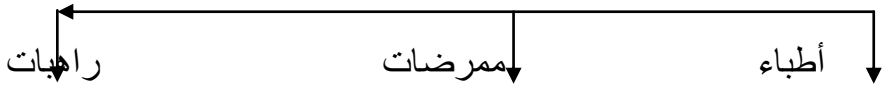

* الإعلام Information: بعد فشل الغرب في تحقيق أهدافه الاستعمارية رأت بعض الدوائر اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية أن من مصلحة رجال الدين المسيحي واليهودي توجيه العمل التنصيري بوسيلة أكثر فاعلية هي الإعلام لما يمتاز به من كفاءة وقدرة على تجاوز حاجز الزمان والمكان في التدفق من خلال وسائله المتنوعة المقروءة منها والمسموعة والمرئية هذا بالإضافة إلى استخدام الأقمار الصناعية في بث الصور الخليعة

(1) Encyclopedia of Mission. London, Oxford University

(2) شاتليه(ب ت).الغارة على العالم الإسلامي.دار الجيل، بيروت،ط1.

والمدبلجة"جورج كلوني" أو ما يعرف "بنجم هوليود". وهنا تتفاوت درجات الغربنة من وسيلة إلى أخرى كل حسب تطوره وتقدمه التكنولوجي في إشعال فتيل الأزمة على النحو التالي:

1/الصحافة والمطبوعات:مع تصاعد الأزمة في دارفور استغلت المنظمات والجمعيات أساليب متنوعة لإدارة العمل التنصيري في جميع الميادين حيث قامت بتوزيع عدد من المنشورات والمطبوعات على مختلف مراكز النزوح واللجوء(المعسكرات) أهمها: صحيفة واشنطن بوست- التلغراف-نيويورك تايمز –لوس أنجلس تايمز –غارديان، هذا بالإضافة إلى مجلة إرساليات التنصير التي تصدر في مدينة بال بسويسرا، وإلى جانب الصحافة هنالك عدد من التقارير التي تصدر من بعض المنظمات الدولية لحقوق الإنسان، مثل الأمم المتحدة وهيومان رايتس ووتش ومنظمات يهودية أخرى. ونظراً للدور الذي يلعبه هذا الجانب في مجال التنصير والتغريب تخصصت بعض الإرساليات والمنظمات في مجال الطباعة والنشر منها:

- رابطة الإيمان لمساعدة الإرساليات Fellowship of Faith for Missions.
- منظمة نشر النصرانية في الشرق الأوسط Middle East Christian Outreach .
- الإرسالية العربية للتنصير Arabian Mission for Evangelistic.

2/الوكالات العالمية International Agencies: تناولت الوكالات العالمية أزمة دارفور بصورة غير مألوفة مقارنة بالأحداث العالمية الأخرى، ومن أهم الوكالات: وكالة الأسوشيدبرس- الإنتربرس- البي بي سي – رويتر – القناة الفرنسية – القناة الألمانية...وغيرها.

3/الإذاعات العالمية International Radios : عندما أدرك الغرب الأوربي خصوصية إنسان دارفور في طبيعته وعاداته وتقاليده واختلاف بيئته استغل الإذاعة كوسيلة من وسائل التغريب والتنصير لما تمتاز بها من سهولة الانتشار دون اعتبار لحاجز الزمان والمكان فانتشرت الإذاعة بلغات عالمية ومحلية

ميسرة تحكي عن الإثنيات الدارفورية، ومن أهم الإذاعات هي:

* إذاعة البي بي سي * الإذاعة الدولية * إذاعة مونت كارلو.

* إذاعة الشرق الأوسط * إذاعة مركز النهضة * شبكة البث المسيحي.

* إذاعة صوت الغفران * الإذاعة الإريترية * إذاعة دبنقا.

تعمل هذه الإذاعات على مدار الساعة في بث الأخبار عن دارفور على مختلف الموجات الصوتية، بكافة اللغات العالمية والمحلية، بالإضافة إلى اللهجات المحلية.

4/التلفزيون Television: يعتبر التلفزيون الآن من أخطر الوسائل في التنصير والتغريب لما يمتاز به من نقل الصورة والصوت عبر الأقمار الاصطناعية وبواسطته تم تدويل أزمة دارفور في المحافل الدولية حيث شاركت معظم تلفزيونات العالم في نقل الحدث بصورة غير واقعية.

* الخيام The Tent Maker (التنصير الخفي Silent Witnessing):يرجع تطور العمل التنصيري بهذه الوسيلة إلى تاريخ القديس بولس عندما اتخذ تجارة الخيام مصدراً من مصادر رحلاته، ويستخدم عادة في المناطق المغلقة التي لا يستطيع التنصير المباشر الوصول إليها[1]

وتستخدم الإرساليات أسلوب أصحاب الخيام في الوقت الحاضر ليس من أجل أسباب اقتصادية، وإنما كوسيلة للتسرب إلى مناطق العالم التي عجز التنصير المباشر من الوصول إليها[2] . ويدخل المنصرون السريون إلى البلاد عادة بوصفهم مهنيين يعرفون الناس بالسلوك النصراني. وعلى هذه الشاكلة دخل المنصرون معظم مناطق دارفور دون رقابة بوصفهم مهنيين ومعلمين وموظفين يعملون في كافة القطاعات بإذن أو بدونه من الحكومة المركزية، يستهدفون كل شرائح المجتمع خاصة الغلابة منهم يوزعون لهم الخيام والإنجيل، هذا بالإضافة إلى بعض المنشورات والمطبوعات، مستغلين في ذلك التالي:

(1) Horner.N,A.1958:273.The Gospel and Islam. New York, Press

(2) (Horner 1958:273)

1- النساء: لم يغيب عن الغرب الأوربي أهمية المرأة في المجتمع الدارفوري حيث درجت بعض المنظمات إلى تعيين عنصر النساء فقط دون الرجال في التعليم والمستشفيات، لأنهم يرون أن المرأة أكثر قابلية في التعامل بدلاً عن الرجال خاصة في المناطق الريفية، مما يتيح الفرصة لكثير من المنصرات زيارة المنازل في المعسكرات. وبالتالي نجحوا في صياغة بعض النساء على النمط الغربي عندما وضعوا كتباً في مواجهة المرأة المسلمة وإبعادها عن دينها وعقيدتها ومن أهم المنشورات في هذا الصدد كتاب: الإنجيل في صور للعيون الصغيرة [1] The Bible in Picture for little Eyes .

2- العلاقات الاجتماعية: كثيراً ما يعمل المبشرون المقيمون على إقامة علاقات اجتماعية وأسرية بينهم وبين الأهالي، وعن طريق تلك العلاقة يتم نشر الإنجيل بين أوساط المسلمين، ورغم أن دارفور من الأقاليم المتفردة حيث لم يعرف أهلها المسيحية إلا أن هذه الأزمة قد أفرزت واقعاً مختلفاً لا يمت لدارفور بصلة فظهرت مظاهر الفساد بأنواعها المختلفة، مثل الاختلاط والتبرج بدعوى التمدن والتطور كما تفشى تناول المخدرات والمسكرات بل تصدر إلى كثير من أقاليم السودان. وعلى هذا المنوال استطاع الغرب أن يدق ناقوس الخطر ليس في دارفور فحسب وإنما في كل أنحاء السودان لتغيير قيم ومفاهيم الإنسان السوداني من خلال التالي:

- التغيير الثقافي: لا يخفي على أحد أن الغزو الفكري والثقافي يمثلان أخطر الوسائل في استلاب العقول كما يقول القس زويمر:" المدارس أكثر ما يعول عليه المبشرون في التحكم على مصائر الشعوب" من أجل تحقيق الأهداف التالية[2]:

1 - الاهتمام بالصفوة في تغيير الخارطة الدولية والإقليمية.
2 - الدعوة إلى إضعاف العلاقة بين الإثنيات القبلية، وقطع الروابط الوطنية، وإحياء الثقافة الغربية محل الثقافة الإسلامية
3 - الاهتمام باللهجات المحلية وترجمتها إلى لغات شبه

(1) Dowel,(1998: 151)

(2) خالدي، فروغ1987م:،مرجع سبق ذكره123

رسمية.

4 - إحياء الشعور بالتبعية والغربنة.

5 - تمجيد القيم الغربية بدلاً عن الوطنية

6 - إحياء تيارات فكرية جديدة تنادي بالعنصرية والقومية تؤمن بالعلمانية واليهودية.

7 - الغاية هي التنصير والتغريب.

فإذا تأملنا لما جرى ويجري الآن في دارفور بإمكاننا القول إنه قد نفذ الكثير من تلك الأهداف السابقة.

- التغيير السياسي:عندما فشل الغرب الصليبي في الهيمنة والسيطرة على السودان، أخذ يبحث عن حجة أخرى فكانت دارفور لتحقيق الأهداف الآتية:

1 - إثارة القوميات حتى يصبح الاقتتال أمراً حتمياً.

2 - احتلال كل أنحاء دارفور.

3 - إنهاء المشاعر الدينية والعقدية.

4 - قيام حركات ثورية تنادي بالعلمانية والاشتراكية.

5 - الاهتمام بالقانون الوضعي بدلاً عن القانون الشرعي.

- التغيير الاجتماعي: اقتصر الغرب في التغيير الاجتماعي إلى إبعاد أهل دارفور من الروح الوطنية، وإثارة التفرقة والعنصرية والقبلية بين المجموعات الإثنية، والتخلص من العادات والتقاليد الإسلامية التي لا زالت راسخة بين الدارفوريين.هكذا أصبح التنصير السري في الوقت الراهن من المسائل ذات الأهمية البالغة بين المهتمين بنشر النصرانية، فقد أصدر مجلس الكنائس البريطانية(BCC) كتاباً نصح فيه المنصرين السريين باحترام القانون وإظهار السلوك على أفضل وجه، والتوسع في العلاقات الشخصية Personal Relations.

خاتمة:

أكدت الدراسة أن التبشير والتنصير والتغريب كلها وجوه لعملة واحدة غايتها الاستلاب العقلي والفكري، وذلك بإثارة الشكوك والفتن بين الإثنيات السودانية بصورة عامة وفي دارفور على وجه الخصوص ، وهنا يجب أن تكون مسؤولية الحكومة المركزية مسؤولية تكاملية لاجتثاث صوت الغرب عن جميع أنحاء القطر دونما تمييز، لأن الأزمة الدارفورية ليست أزمة أهالي دارفور فقط، بقدر ما هي أزمة السودانيين جميعاً فعلى الدولة أن تراعي الآتي:

* العدالة في توزيع السلطة والثروة.
* إعطاء الحقوق لأهلها دون تمييز.
* منع ممارسة سياسة الولاء والتبعية.
* ترتيب وتنظيم الوجود الأجنبي والمنظمات الدولية في دارفور.
* منع إقامة الكنائس في بلد أهله متأصلين بالعقيدة الإسلامية.
* تطوير التقنية الإعلامية المحلية لمجابهة التدفق الإعلامي الخارجي.
* إقامة مراكز بحثية متخصصة لدراسة الأسباب الحقيقية لاندلاع الصراعات والنزاعات في كافة أنحاء السودان.
* إقامة مراكز بحثية متخصصة لدراسة العقيدة النصرانية لمجابهة أساليب التغريب والاستلاب الفكري والعقلي.
* أن يكون شعار مجانية التعليم والصحة والأمن حقيقة ماثلة وليست سياسية حتى لا تستغل من قبل الأطراف المعادية للسودان.
* رتق النسيج الاجتماعي الدارفوري بصورة واقعية وليست مناورة

سياسية.

أما مسؤولية العلماء والدعاة تجاه هذه الأزمة فإنها لا تقل أهمية عن دور الحكام لأنهم عصبة الأمم، ولأنها أمانة تاريخية يشهد لها كل العالم، ولعل مسؤوليتهم تكمن في الآتي:

1/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجاه الحاكم والمحكوم.

2/ محاربة كل الشبهات التي يثيرها المنصرون والمبشرون، مثل التشكيك في العقيدة الإسلامية، والدعوة إلى تحرير المرأة ونقد أحكام الإسلام وغيرها.

3/ التعاون بين المنظمات الدعوية ومراكز البحوث العلمية في إقامة مؤتمرات وندوات لدراسة ظاهرة التغريب والاستلاب الاستعماري.

4/أن تكون هنالك زيارات دورية الى مناطق الأزمات لتقديم النصح والإرشاد للذين ظلموا والظالمين.

مسؤولية النخبة الدارفورية: بات من حكم المؤكد أن بعضاً من النخب الدارفورية كانت لهم قدم سبق في الأزمة الحالية، بل بالأحرى هم عماد هذه الفضيحة التاريخية، إما لأنهم موالون للنظام، أو لهم أغراض شخصية.فإذا أرادوا الخروج من هذه الكبوة عليهم مراعاة الأتي:

- مراعاة قدسية الإنسان من كونه مكرماً عن سائر المخلوقات.
- الابتعاد عن المساومة الرخيصة واتباع هوى النفس الذي لا يغني عن الحق شيئاً.
- الاعتراف بالآخر في الحل والترحال، وإيجاد قواسم مشتركة تجمع كل

ألوان الطيف الدارفوري.

- ضرورة الوعي بأن هذه البسيطة لله عز وجل وليست لبشر.
- ضرورة رسم سياسات واضحة تؤكد أحقية الإثنيات الدارفورية في ملكية الأرض بغض النظر عن لونه وجنسه.
- المتابعة الدقيقة لكل ما يصدر وينشر عن أزمة دارفور وتفسيره لصالح الجميع وليس للفرد أو جماعة دون الأخرى.
- قيام مؤتمرات دولية ومحلية للبحث عن الحلول المرضية لهذه الأزمة(المصالحات القبلية)(التعايش السلمي) تحت شعار: (الناس سواسية كأسنان المشط) وتأكيد روح التسامح والتآلف بين الإثنيات الدارفورية في المحافل الدولية والإقليمية والمحلية.

مسؤولية المواطن: تكمن مسؤولية المواطن الدارفوري في التالي:

- تقوية أواصر المجتمع الدارفوري.
- البعد عن التمييز الرخيص الذي كثيراً ما ضيق الخناق على أهل دارفور.
- المحافظة على العلاقات الأزلية بين الإثنيات المختلفة في الحل والترحال.
- ضرورة المحافظة على الإرث الدارفوري القائم على الاعتراف بالآخر وعدم التفرقة أو الهيمنة.
- تربية الأبناء على المسؤولية الوطنية وليس على القبيلة أو الأسرة أو

الحزب.

- عدم موالاة النصارى واليهود.
- المحافظة على الشعائر الإسلامية.
- إلحاق الأبناء بالمدارس الحكومية بدلاً عن الأجنبية.